



عمى البطولة

يمكن الجزم منذ الآن اننا سنفتقد الكثير عندما تعود لسوريا دولة طبيعية، اي دولة شفافة لا تنتشي ببطولات لا وجود لها ولا تختبئ وراء نشوتها. ولعل اكثر ما سنفتقده في هذا السياق هو هذا الجهد الدؤوب الذي تبذله وكالة "سانا" يومياً، الى جانب صحف دمشق الرسمية الثلاثة، للعثور على انجازات خارقة وتفسير كل شيء وعكسه بها. الثمرة الاخيرة لهذا الجهد، الذي يستحق وحده صفة البطولي، هو التحليل الذي قدمته "سانا" لقرار قانون "محاسبة سوريا واستعادة لبنان سيادته"، فعندها ان العقوبات تُفرض على سوريا "بسبب دعمها لمقاومة الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الاسرائيلي".

ليس من احد يشك في ان لولب الحركة التي آلت الى اقرار هذا القانون في كلا غرفتي الكونغرس الاميركي هو جمع من السياسيين الاميركيين الاكثر التصاقاً بالمصالح الاسرائيلية، بل ان اللوبي الصهيوني المنظم في واشنطن لعب دوراً فاعلاً في دفع منطوق المحاسبة الى حيث هو الآن، اي الى مكتب الرئيس جورج بوش. الا ان اختزال حيثيات اقرار القانون بغالبية شاسعة، وفي كل من مجلسي النواب والشيوخ، بدعم مقاومة الشعب الفلسطيني يفيد قدراً من التذكي يرقى الى حد العمى، فضلاً عن كونه يجافي الحقيقة الثابتة في اكثر من عقدين من العلاقات السورية - الفلسطينية.

لكن الانكى في هذا الخطاب البطولي انه يصعب على المسؤولين السوريين الافلات من الخطر الذي يمثله التحوّل الجديد في العلاقة بين دمشق وواشنطن. اصلاً، الخطاب البطولي لا يتيح ابدأ ادراك هذا التحول، اذ انه يفترض عداءً اميركياً دائماً لسوريا، فيما يعرف المسؤولون السوريون الأعلى رتبة من محرري "سانا" ان العلاقة الجيدة مع الولايات المتحدة كانت احدي دعائم ديبلوماسية حافظ الاسد. بل ان بعض هؤلاء المسؤولين يتغنون في الحلقات الضيقة بالصدقات التي تحفظ بها دمشق في وزارة الخارجية الاميركية، وان تناسوا ان اعضاء ما يمكن تسميته - بكثير من التحفظ - اللوبي السوري في واشنطن، مثل كريستوفر روس والى حد ما ادوارد جيرجيان، ليسوا في موقع التأثير على القرار الرئاسي. والحال ان الموقف السوري يتأرجح بين تسخيف التهديد المتمثل بالقانون الاميركي الجديد وبين تعظيم الانجازات "القومية" للنظام واهله، وهي التي تفسر في رأيهم اللجوء الاميركي الى التهديد، فيضيع معنى التحول في سياسة واشنطن.

قد يتأخر الرئيس بوش في التوقيع على قانون محاسبة سوريا، وقد يذهب الى حد الامتناع عن التوقيع حتى نهاية ولايته. وقد يصيب المسؤولون السوريون في ادعائهم ان العقوبات المنصوص عليها في القانون لن تنعكس عليهم سلباً بطريقة مباشرة ما دام الاقتصاد السوري مغلقاً على نفسه وقادراً على البقاء في حال الانغلاق الى ما شاء الله وتحمل عباه. لكن اياً من هذه الاعتبارات لا تنفي حقيقة حصول تحول في العلاقة السورية - الاميركية ولا تقلل من حاجة سوريا الى التحصن ضد مفاعيله السياسية، ان لم يكن ضد انعكاساته الاقتصادية.

كذلك، لا يقلل من اهمية التحول الاقرار بأنه ينبع اميركياً من تشنّج ايديولوجي ويتسلح برهان، ايديولوجي هو الآخر، على تغيير جذري في الشرق الاوسط. على العكس تماماً، ان غلبة الايديولوجيا في دوائر القرار الاميركية تفسّر لماذا آلت الى الفشل حتى الآن المحاولات السورية



لاظهار حسن النية في الكواليس، من خلال التعاون المخبراتي ضد ارهابيي "القاعدة"، بينما ظل الخطاب السوري في ظاهره محكوماً هو ايضاً بتشنج ايديولوجي كالذي برز في مواقف الرئيس بشار الاسد العلنية من الوضع في العراق، قبيل الحرب واثناءها وبعدها. هذا ناهيك عن كون التعبئة الايديولوجية في الولايات المتحدة تعظم من المسؤولية السورية في ضبط حركة مرور المرشحين للجهاد في اتجاه العراق، حتى وان يكن الفلتان في المنطقة الحدودية ناجم عن اتساعها والظروف الطبيعية السائدة فيها، وليس عن ارادة سورية واضحة وثابتة.

كما ان هذا الطابع الايديولوجي يؤدي الى تخلي الولايات المتحدة عن الحسابات الباردة التي كانت تحكم نظرتها الى الهيمنة السورية على لبنان. ولا بد من القول في هذا المجال ان الكثير مما جاء في فقرات القانون الاميركي حول لبنان، وخصوصاً ما يتعلق منها بفقدانه حرية القرار، يبقى كلاماً حقاً، وان يكن يراد به باطل، وليس الرد

عليه باستنفار المعارضة كي تنتصر للنظام الذي لم يأل جهداً في تهميشها وقمعها.

امام طغيان الايديولوجيا في النظرة الاميركية الجديدة، تملك ربما سوريا الرسمية ان تلجأ هي الاخرى الى ممارسة ايديولوجية، كالتي لا تتوقف "سانا" عن التغني بها. وتملك ايضاً ان تبارح الايديولوجيا لتختار مقاربة واقعية براغماتية، سواء بنشرها جيشها على الحدود مع العراق او بسحبه من لبنان، او بالاثنين معاً بحيث تضرب سرياً من العصفير بحجر واحد. لكنها بالتأكيد لا تملك ان تحافظ على الالتباس بين خطاب محكوم ببطولات "سانا" وممارسة لا تستطيع حتى "سانا" التنظير لها.

سمير قصير



Id-Reference	03-Pr-000711	
Media	(Support)	HC
Title		عمى البطولة
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date	14/11/2003	٢٠٠٣/١١/١٤
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	جورج بوش - كريستوفر روس - بشار الأسد
	Locations	لبنان - سوريا - ولايات متحدة - اسرائيل - واشنطن
	Dates	
	Themes	لبنان - سوريا - قانون محاسبة سوريا - وكالة سانا - مقاومة شعب فلسطين - احتلال اسرائيلي - كونغرس اميركي - لوبي صهيوني - علاقة جديدة بين دمشق و واشنطن - حافظ اسد - علاقات سورية اميركية - ارهابيين قاعدة - وكالة "سانا" - علاقات سورية فلسطينية - علاقة دمشق و واشنطن - سوريا مظام - حزب بعث - شرق اوسط - القاعدة - بشار اسد - جهاد - هيمنة سورية لبنان -
Subject		